جامعة تكريت /كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

المادة: عرب قبل الاسلام

عنوان المحاضرة: عبادة آلة القمر عند العرب قبل الاسلام

استاذ المادة: : أ.د. حنان عيسى جاسم

المحاضرة الاولى

عبادة آلة القمر عند العرب قبل الاسلام

ارتبط الانسان منذ فجر التاريخ، بـ"القمر"، فكان إلها ومقدسا عبر الحضارات، وأحد الأجرام السماوية التي لفتت إليها أنظار البشر بتأثيرها فى الإنسان، وكان رمزًا للجمال والحب.

ظهور القمر كان دائما رمزا للسكينة مما جعل الأقدمون يقدسونه ويعبدونه ويفتتنون بوجوده ، ويبقى الدافع وراء تقديس الإنسان والتقرب من هذا الجرم السماوى، كان الحاجة الماسة للأمان الروحى فى مساحات الكون الواسعة، وكأن الجسد يظل تائها عن مركزه حتى تظهر تلك النقطة الناصعة البياض فى السماء، فيضئ للعالم غموضه وظلمته، ويشعره بدفء الأم، و"النور" الإلهى.

عبادة القمر في الحضارات القديمة

عبد العراقيين القدماء الاله القمر، كانت مدينة أور (تل المقير الآن-جنوب العراق) مركز عبادة "سن" أو "سين"، إله القمر. ثم انتقلت مراكز عبادة هذا الإله إلى حران في الشمال الغربي من العراق، وانتشرت عبادة إله القمر من أور إلى كلّ أرجاء بابل، ومن حران إلى سوريا وفينقيا.

وكان الملوك الاشوريون في العصور المتأخرة يعيّنون أكبر أبنائهم كهنة في معبد "سن" في حران. وكان "والدي نابونائيد" (555 - 539 ق.م)، آخر ملوك السلالة الكلدانية، كاهنًا من كهنة معبد "سن" في حران، وقد قام بتنصيب ابنته كاهنة في المعبد نفسه. وممّا يدلّ على اهمية عبادة إله القمر أيضًا لدى ملوك العراق هو تكريس بناتهم للخدمة في معابد

ظهرت رموزه منقوشه على النصب الآشورية بصفته رمزا مقدسا، وإلها عظيما.

وكذلك في الحضارة المصرية القديمة كان للقمر مكانة

فالمصريون القدماء علقوا أهمية كبيرة على القمر،

ورغم أنهم لم يعدوا "القمر" إلها بحد ذاته، لكنه مثل تجليات عددد من آلهتهم، ويجمع كثير من الأساطير المصرية القديمة بين البدر والهلال والآلهة، مثل تحوت أو "توت" وأوزيرس وحورس، وهو يتجلى رمزيًا على شكل قرص أو عين، ويعد القمر كناية للشباب.

إله القمر خنسو

وفى العصور المتقدمة من العصور القديمة، ارتبط الفراعنة بعبادة القمر، وكان له ثلاثة آلهة وهم طبقا لأقدميتهم الإله "إعح" أى الإله القمر، ثم "خونسو" وهو اسم يعنى الهائم أو المسافر، ويوجد معبد له يدعى معبد "إله القمر" بالأقصر، أما الإله الثالث المرتبط بالقمر هو الإله "تحوت" مخترع التقويم القمري.

فضلا عن ان في الحضارة الاغريقية اعتقدوا ربه القمر أرتيميس فى القديم جسدت الأساطير الإغريقية لدى القدماء اليونانيين، القمر على هيئة ربة سميت "أرتيميس" أو سلينى، ووفقا لكتاب "القمر طبيعة وثقافة" تأليف إدجار وليامز، تقول الأسطورة اليونانية أن "سيلينى" أنجبت خمسين بنتا تمثل خمسين قمرًا بين كل دورة أولمبية، من رفيقها "إنذيميون"، وهو بشرى، ويقال إن بسببها احتفظ "إنذيميون" بشبابه ووسامته الدائمين، ويقال أن سيلينى كانت تزوره فى كهفه فى جبل لاتموس كل ليلة، تمام مثلما يزور المقر السماء كل ليلة.

ان للعرب منذ القدم علم ودراية واهتمام واسع بعلم الفلك، وكانوا يتفاخرون بمدى معرفتهم بأصول هذا العلم وفروعه. وكونهم أعلم الناس بمنازل القمر وأنوائها، والكواكب ومطالعها، كان لهم ما لم يكن لغيرهم في هذا المجال. وكانت البيئة الصحراويّة التي عاشوا في كنفها من أهمّ أسباب اهتمامهم بهذا العلم، اذ كانوا يهتدون بالنجوم في ترحالهم وأسفارهم وهو ما أشار إليه القرآن في أكثر من موضع، منها:(وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) و(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأنّ أعلم العرب بالنجوم كانوا بنو مارية بن كلب وبنو مرّة بن همّام بن شيبان. وذكر أنّ كنانة كانت تهتمّ بالقمر بشكل خاص، وحمير تعبد الشمس. ومن العرب من تعبّد للشمس والقمر، ومنهم من تعبّد لكواكب أخرى مثل "الشعرى" التي تعبّدت لها خزاعة وقيس ومثل، و"سهيل" التي تعبّدت

لها طيء و"عطارد" الذي تعبّد له بنو الأسد و"الزهرة" التي تعبّد لها أكثر العرب و"زحل" الذي تعبّد له بعض أهل مكّة.

عبادة العرب قبل الإسلام هي عبادة كواكب في الأصل. وإنّ أسماء الأصنام والآلهة، وإن تعدّدت وكثرت، فهي ترجع إلى ثالوث سماويّ مقدّس يتألف من كلّ من: الشمس والقمر والزهرة

أنّ عبادة العرب قبل الإسلام هي عبادة كواكب في الأصل وأنّ أسماء الأصنام والآلهة، وإن تعدّدت وكثرت، فهي ترجع إلى ثالوث سماويّ مقدّس يتألف من كلّ من: الشمس والقمر والزهرة. فهذه الأجرام السماويّة لفتت أنظار العرب لاعتقادهم أنّ لها تأثير على الزرع والأرض والإنسان. وهو ما أشار إليه القرآن في أكثر من موضع منها: وَصْفُه لرحلة إبراهيم في بحثه عن الحقيقة (فلمّا رأى القمر بازغًا قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالّين.(

أنّ العرب القدماء عظّموا الشمس ولكنّهم لم يجدوا فيها ندًّا للقمر ولم تترك في نفوسهم من العجب والتساؤل ما تركه القمر. وقد فُسّر ذلك بأمرين، أوّلهما أنّ الشّمس، باعتبارها الجرم الحارق، شكّلت مصدر حرارة ووهج قد يكونان مزعجيْن أحيانًا، خلافًا للقمر بضوئه الهادئ المؤنس. وثانيهما أنّ الشمس تشرق وتغيب، ولكنّها تظلّ على هيئة واحدة، خلاف القمر الذي يتحوّل ويتبدّل.

مثل القمر الأب في الديانة السماويّة. فالثالوث الكوكبيّ المقدّس عند العرب، كما ذكرنا، يتكوّن من كلّ من القمر والشمس والزهرة. واعتبر العرب القدماء القمر أبًا في هذا الثالوث، وكان كبير الآلهة بالنسبة إليهم وصارت له منزلة خاصة في ديانة العرب الجنوبيين.

كشفت نصوص المسند عن أن القبائل العربية البائدة، وهى قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعماليق والصفوة، كانت تتبع الإلهة القمرية والانتساب الأموي، ويرى البعض أن لفظة «قمر» كانت الاسم المتأخر الذى أخفى به العرب اسم «رب الأرباب»، أى بعد أن تحولت الإلهة القمرية الأنثى إلى إله ذكر أب بظهور الملك الإلهى الذى وقر على اعتبار أنه الهيئة الذكرية للقمر، فخطب من أتباعه ومن عبدته «ود أب» أو «أب ود»، كذلك فقد أصبح من ألقابه «عم» وهو ما يشير أكثر إلى الانتساب الأبوى.

المركز الذي يحتله القمر في ديانة العرب الجنوبية لا نجده في أديان العرب الشماليين. وهو ما يصحّ أن نعتبره من الفروق الأساسيّة في طرق تعبّد هاتين المجموعتين. وقد يعود تقديم القمر على الشمس عند العرب الجنوبيين إلى اختلاف طبيعة الأقاليم وإلى التباين في الثقافة. ففي الثقافة العربية الجنوبية يُعتبر القمر هاديًا للناس ومهدّئًا للاعصاب وسميرًا لرجال القوافل من التجار، بعكس الشمس التي تشلّ الحركة في النهار وتميت من يتعرض لأشعّتها الوهّاجة في عزّ الصيف، إذْ إنّها ذات حميم. فلا عجب بأن تُطلق عليها أسماء كـ(ذت حميم) أو (ذات حمم) أو (ذات الحميم) عند العرب الجنوبيين. والحميم هو الحار الشديد المتّقد من شدّة السّخونة. وعليه، فلا نستغرب أن يقدّم العرب الجنوبيين القمر في عبادتهم ويفضلونه على الشمس. وممّا يظهر أيضًا منزلة القمر المتقدّمة عند العرب وتفوّقه على الشمس هو إطلاقهم لفظة "القمرين" للدلالة على الشمس والقمر

إنّ القمر بوصفه معبودًا عند العرب قبل الاسلام، كان يُعرف بأسماء متعدّدة. الاسم الشائع للقمر هو "ورخ" أو "سن" أو"سين" أو "شهر". و"شهر" خاصة كان الاسم المستخدم للقمر في كتابات العرب قبل الاسلام التي عُثر عليها في العربية الجنوبية وفي نصوص عُثر عليها في الحبشة وفي الاقسام الشمالية الغربية من جزيرة العرب. ويُلاحظ أنّ الصور التي ترمز إلى القمر ممّا عثر عليه في تلك النصوص هي متشابهة في الشكل ممّا يدل على أنّ الاسطورة الدينية التي كانت في مخيلة عبدة القمر وقتها جاءت من أصل واحد.

من اسماء الاشخاص قبل الاسلام اسم"عبّاد ود". وهي تسمية عرفت في قبيلة الخزرج وقريش وهذيل وسعد وتغلب. وثمّة أبيات تُنسب إلى النابغة الذبياني يذكر فيها هذا الإله:

حياك ود فإنّا لا يحل لنا لهو النساء وإنّ الدين عزما

كما أطلق العرب القدماء أسماء أخرى على القمر نذكر منها: "هوبس" أي اليابس، و"ورخ" و"أشيم بابار" أي صاحب الشروق، و"حرمن" أي القدّوس، و"ننا" أو "ننار". أمّا كلمة القمر، فلم ترد إلى الآن في النصوص القديمة،

وكان للقمر ذكر كذلك في الاديان السماوية الثلاث، ففى الكتاب المقدس ذكر اسم "القمر" نحو 34 مرة، وفي الاعتقاد المسيحى، فإن وقت صلب المسيح كان القمر غائبا والظلام يغطي الارض، و تعلو صور لصليب صورتان مترادفان للشمس والقمر متجاوران ، وورد ذكر القمر فى القرآن

الكريم (27) مرة، وخصص الله سورة كاملة فى القرآن باسم القمر، وذكره غير ذلك فى عدة آيات منها: " فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي"

فضلا عن ان التقويم الهجري هو تقويم قمري.

تشكّل الأساطير جزءًا هامًّا من أجزاء البناء الفكري قبل الإسلام، وهي تمثّل الحكايات اللا واقعيّة التي تفسّر علاقة الإنسان بالكائنات. لقد كان القمر من المحاور الرئيسة للفكر الأسطوريّ عند الانسان القديم باعتباره أحد النيّرين الكبيرين اللذين يؤثران في ظواهر الطبيعة والحياة والكون، وهو ما رفعه إلى مقام الألوهية والتقديس. كما اتُخذ وسيلة أساسيّة في تقسيم الزمان إلى وحدات متساوية من الشهور. وما لاحظه الانسان من تغير ظاهريّ في شكل القمر رافقته أحاسيس منتاقضة من التفاؤل والتشاؤم. فقد تفاءل العرب القدماء برؤية هلال أوّل الشهر وتشاءموا أشدّ التشاؤم من اختفاء القمر أو ما يُعرف بالخسوف.

كان يُعتقد أيضًا أنّ شياطين العالم السفليّ كانت تقوم بأسر القمر واحتجازه، وكانت تُجرى بعض الطقوس للمساعدة في فكّ أسره

وكان خسوف القمر يُعلّل بأساطير مختلفة، حفل بها الأدب العربي قبل الإسلام، منها أنّ الإلهة الشريرة "سبيتو" تُسرع وتصرع القمر وتحجبه، وهذا ما كان يفسّر غيابه لمدة ثلاثة أيام في نهاية كل شهر. وكان يُعتقد أيضًا أنّ شياطين العالم السفليّ كانت تقوم بأسر القمر واحتجازه، وكانت تُجرى بعض الطقوس للمساعدة في فكّ أسره. واعتقد العراقيون بمهاجمة القمر من قبل أعدائه من العفاريت السبعة المقدسة وقت الخسوف واعتبروا فترة اختفائه في نهاية الشهر فترة شؤم وخطر، التزموا فيها إقامة الصلوات وتقديم القرابين من أجل ظهور القمر مرّة ثانية.